

مفهوم الحب
عند أهل السنة والجماعة
(الجزء الأول)

إعداد

علي بن يحيى المرزوقي

مصدر هذه المادة :







تقديم

الحمد لله الغفور الرحيم وهو بكل خلق عليم، أحمده وأشكره وأسأله حبه وحب من يحبه، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحـــده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخليله وخيرته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد، فهذه نبذة مفيدة كتبها بعض الشباب من أهـــل العلـــم والإدراك جمع فيها فصولاً نافعة في محبة العبد لربه وأسباب ذلـــك وآثاره وترتب محبة الله تعالى لأوليائه وعباده المتقين، وآثار هذه المحبة من التوفيق والإلهام والحفظ والحماية، وهكذا محبة المؤمن لأنبياء الله ورسله سيما خاتمهم وأفضلهم وهو محمد صلى الله عليـــه وســـلم وسبب ذلك وعلامات هذه المحبة والاقتصاد فيها والرد على أهـــل الغلو والاطراء، وكذا محبة الصحابة ومحبة المؤمن لكل أهل الإسلام وما يترتب على هذه المحبة، وقد أوعز في أثناء ذلك إلى علامـــات هذه المحبة وفوائدها حيث إن الكثير في هذا الزمـــان إنمـــا يحبـــون الإنسان لأمر عاجل مؤقت كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في زمنه " قد كانت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا ".

فجزى الله الكاتب على جهده وما بذله خير الجزاء ونفعهم الله بهذه الرسالة وما بعدها وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

٢٨/١٢/١٤١٢ هـ

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

الحب

توطئة:

الحب أعظم عامل في الحياة وأعظم قوة في قلب الإنسان تسوقه إلى أعمال رفيعة، وتقوده إلى حيث لم يكن راغبًا، فهو ملك يتصدر عرش العواطف والأحاسيس، وينطلق من حالات خاصة في الروح يبذل في سبيلها كل غالٍ ورخيص.

ولا يتصور وجود مخلوق أوجده الله تعالى وهـــو يعـــيش دون الحب حتى الحيوان والجماد:

مـــن عـــاش في الـــدنيا بغـــير حبيـــب
فحياتـــــه فيهـــــا حيـــــاة غريـــــب

وقال آخر:

ولا خـــير في الـــدنيا إذا أنـــت لم تـــزر
خلـــيلاً ولم ينظـــر إليـــك حبيـــب

ويقول آخر:

أفٍ للـــــدنيا مـــــتى مـــــا لم يكـــــن
صاحب الـــدنيا محـــب بـــلا حبيـــب

والحب: إيمان وإيثار وتضحية، بل هو عقيدة ونور يبيد الظلام وهو عبادة ورغبة وصبر وطهارة وسرور عن عقل وتبصُّـــر وقـــوة إرادة يقرب الفضيلة والتعفف والحشمة والألفة. وصلاح العبـــد أن يصرف قوى حبه كلها لله وحده بحيث يحب الله بكل قلبه وروحه

وجوارحه فيوحّد محبوبه ويوحّد حبه. وتوحيد المحبوب أن يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها، فهذا الحب غاية صلاح العبد ونعيمـــه وقرة عينيه.

وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحـــب إليه مما سواهما، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله، فلا يحب إلا الله.

ومتى انصرفت قوة الحب إلى جهة أخرى لم يبق فيها متســـع لغيرها، ومن أمثال الناس: " ليس في القلب حُبَّان، ولا في الســـماء ربَّان ". ومتى انقسمت قوى الحب بين عدة أطـــراف ضـــعفت لا محالة.

وكل عاقل يعلم أن اللذة بحصول المحبوب، بحسب قوته ومحبته، فكلما كانت المحبة أقوى كانت لذة المحبة أكمل، فلذة من اشـــتد ظمئه بإدراك الماء الزلال ومن اشتد جوعه بأكل الطعـــام الشـــهيّ أكمل.

الحب: معناه، أسماؤه، وأشكاله

* **معناه**: قيل هو اسم لصفاء المودة؛ لأن العرب تقول، صـــفاء وبياض الأسنان ونضارتها حبَبَ الأسنان، وقيل الحبّان: ما يعلو الماء عند المطر الشديد وعليه غليان القلـــب وثورانـــه عنـــد العطـــش والاهتياج إلى لقاء المحبوب، وقيل هو من القرط للزومه الأذن، وقيل غير ذلك.

* **أسماؤه**: ذكـــــر ابن القيم رحمه الله أسماء المحبة وأوصلها إلى

الستين اسمًا وزيادة [1]، كما تعرض إلى اشـــتقاق هـــذه الأسمـــاء ومعانيها. ونسبة هذه الأسماء بعضها إلى بعض، وأطـــال الحـــديث فيها، ورغم هذا إلا أنه لم ير واحدًا من هذه الأسماء، لأنه يرى أن المحبة: لا تحتاج إلى تعريف، إنما التعريف يكون حـــال الإشـــكال والاستعجام على الفهم، يقول رحمه الله في ســـياق رده علـــى أبي العباس بن العريف الذي يقول عن المحبة "... وهي على الإجمـــال قبل أن تنتهي إلى التفصيل وجود تعظيم في القلب يمنع الانقياد لغير محبوبه ".

يقول ابن القيم: وقد قيل في المحبة حدود أكثر من هذا وكـــل هذا تعنُّت، ولا توصف المحبة ولا تُحد بحدٍّ أوضح مـــن المحبـــة ولا أقرب إلى الفهم من لفظها.

ثم يوضح أن التعظيم للمحبوب ما هو إلا أثر من آثار المحبة لا أنه نفس المحبة، فإن المحبة إذا كانت صادقة أوجبت للمحب تعظيمًا لمحبوبه تمنعه من انقياده إلى غيره.

فالمحبة إذن أكبر من أن يحدها لفظ فليست هي اسمًا كمسماها ولا لفظها بيّن لمعناها.

وهذا الاختلاف الشديد في بيان معنى المحبة راجع لأنهـــا مـــن الأمور الوجدانية والتي لا تُرى بالأبصار، فيشترك الواضعون لها في الصفة وتتفاوت بينهم درجاتها ولا تنحصر، فكل من أدرك بعـــض

---

(1) روضة المحبين.

علاماتها عبّر بحسب ما أدركه.

* **أشكاله**: الحب بين الناس في أشكاله وأنواعه دائر بين نفوس ثلاثة:

١) نفس سماوية علوية مشغولة بما يقربها إلى الرفيـــق الأعلـــى وذلك قوتها وغذاؤها. فتسمو روح الإنسان فيه وتتغلـــب علـــى حواس الجسد المعروفة وتقوى عليه، وتتكشف بها الروح وتتـــذوق بها أشياء غير محسوسة وغير معروفة لدى الآخرين، ولا يتمـــادى بصاحبه في إفراط وتجاوز في إطلاق التصور حتى يخرج من طيـــف الحبيب عن الصورة الحقيقية، وتسكب عليه اختراعـــات الهـــوس والوجد والتمايل، ولذا تصير إلى معنى "الاتحاد"، وادعاء المعرفة فيها تصل إلى الضلال البعيد. [1]

٢) ونفس سبعية غضبية منصرفة إلى البغي والعدوان والتكبر، فلذاتها وغذاؤها في ذلك.

٣) ونفس حيوانية شهوانية مستغرقة في الشهوات ومنصرفة إلى الأكل والشرب والوصول إلى المرأة والتمتع بقربها وأغراضها، هذا هو الحب المبتذل السقيم – حب الزّنا – حب الفارغين البـــاطلين والذي سرعان ما تنطفئ جذوته وتخمد ناره المتأججة بقضاء الوطر وبلوغ اللذة، فيذهب نور الوجه ويقذف بصـــاحبه إلى حضـــيض البؤس والرذيلة والإجرام إلى أن يجني من وراء ذلـــك ثمـــار الآلام

---

(١) وسيأتي تفصيلات ذلك في مبحث: حقيقة الحب عند الصوفية (الجزء الثاني).

والخسران والحسرات ويورث الأسف والتلف، لذة منعت لذة خيرًا منها وأجَلّ، وفوتت أعظم اللذات والسرائر.

كـــذلك الحـــب لا إتيـــان معصـــية
لا خـــير في لـــذة مـــن بعـــدها سَـــقَرُ

ومن هذا أيضًا الحب العذري الذي ينتهي بإصابة إحداهما بعاهات جسدية ونفسية تنتهي بالهلاك.

وكـــم ناحـــل بـــين تلـــك الخيـــام
تحســـــــبه مـــــــن أطنابهـــــــا

ومن الحب الهيامي والتفاخري (حب الظهور)، وحب الوطن والنفس والهوى، والشعر والتمثيل والرقص والموسـيقى والجنـون، وحب المال والجاه والريّاسة والمدح والثناء والشكر، وقد تصل هذه المرتبة إلى التي سبقتها، وسيأتي بمشيئة الله بيان كل نوع في ذلـك وموقف أهل السنة من هذا كله.

عملي في الكتاب:

كتابي هذا يتكون من جزأين، ويدور حول بيان أقسام الحـب الثلاثة المذكورة أعلاه، ولسوف أقتصر في هذا الجزء على النـوع الأول وهو: " الحب الإلهي ". وسأترك القسمين البـاقيين للجـزء الثاني بمشيئة الله تعالى والذي يدور حول حقيقة الحب عند الصوفية وحب النفس والحب الساقط. ولقد قسمت هذا البحث كالآتي:

١- توطئه الحب.

٢- الحب: معناه، أسماؤه، أشكاله.

٣- محبة الله لعبده.

٤- محبة العبد لربه.

٥- محبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٦- محبة المؤمنين.

٧- المصادر والمراجع.

٨- الفهرس.

محبة الله لعبده

- أهل السُنّة يثبتون محبة الله تعالى ورضـــاه لعبـــده، وأنـــه - سبحانه — يستحق أن يُعبد لذاته ويُحبُّ لذاته، ويحمد نفسه ويُثني على نفسه ويُمجّد نفسه ويفرح بتوبة التائبين، ويُحِب أن يُحَـــبْ ويرضى عن عبادة المؤمنين.

فمحبة الله تعالى لعبده صفة زائدة علـــى رحمتـــه وإحســـانه وعطائه، وذلك من أثر المحبة وموجبها فأنه سبحانه لّما أحبّهم كـــان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبرّه أتمّ نصيب، وقد ورد في القـــرآن الكريم لفظ " الحب " أكثر من ثمانين موضعًا بين إثبات ونفي.

فقد وصف الله تعالى نفسه بأنه يُحب عباده المـــؤمنين، وبأنـــه الودود، قال البخاري: " والود خالص الحب ".

ومما ورد في القرآن قولـــــــه تعـــالى: ﴿إِنَّ اللَّـــهَ يُحِـــبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وقال:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (الصف: ٤).

فبذل النفس لا يكون إلا عند خلوص النفس في محبة الله.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّـــوَّابِينَ﴾ (البقـــرة: ٢٢٢)، وقـــــال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وهنالك أناس قد نفى الله عنهم المحبة وتجـــــردوا من هـــذه الأنعام العظيمة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـــهَ لَـــا يُحِـــبُّ الْمُفْسِـــدِينَ﴾

(القصص:٧٧)، وقـــــــال: ﴿واللَّهَ لَـا يُحِـبُّ الْخَـائِنِينَ﴾ (الأنفال: ٨).

ومن السّنة وردت عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم – بثبوت محبة الله لعباده المؤمنين أذكر منها: قوله صلى الله عليـه وسلم من حديث أبي هريرة: «**إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل في السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**» [1] قال هرم بن حبان: ما أقبل عبد علـى الله بقلبه إلا أقبل الله عز وجل بقلوب المؤمنين إليـه يرزقـه مـودهم ورحمتهم.

وفي حديث عائشة: " الرجل الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم في سريّة فكان يقرأ في صلاته (قل هو الله أحد)، ولما قيـل للنبي ذلك قال سلوه لأي شيء يفعل ذلك، فقال الرجل: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي: أخبره أن الله يحبه " [2].

ومجمل محبة الله لعبده متعلقة بأداء الفرائض وبـالتقرب إليـه بالنوافل بعدها – روى البخاري حديث أنس قوله لأصـحابه في الحديث القدسي قال الله تعالى: «**من أهان لي وليًا فقد بارزني، وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يـزال عبـدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعـه الـذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي**

(١) أخرجه البخاري (٢٢٠/٦)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) رواه البخاري ١٠٣/١٣ ، ومسلم (٨١٣).

يمشي بها، فبيَ يسمع وبيَ يبصر وبيَ يمشي، ولئن سألني لأعطينـــه ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه»[1].

والأمر بالفرائض جازم، ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفـــل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصـــيل الثـــواب، فكانـــت الفرائض أكمل فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقربًا.

والغرض كالأصل والأُس، والنفل كالفرع والبنـــاء، في إتيـــان الفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمـــر، واحتـــرام الأمـــر، وتعظيمه تعالى والانقياد له، وإظهار عظمة الربوبية وتلـــك هـــي العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل، ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثارًا للخدمة فيجازى بالمحبة التي هي غاية من يتقرب بخدمتـــه. وهو سبحانه قد قضي بالموت فهو يريد أن يموت فسمى ذلك ترددًا ثم بيّن أنه لا بد من وقوع ذلك.. وذلك خير له.

وحب الله لعبده لا يقدر على قيمته وإدراكه إلا من عرف الله وعرف عظمته وقدرته وعرف ربه في تفرده وفي ملكوته، وإن هذا لفضل عظيم إن الله يخلق عبدًا من تراب ثم يحبه وبأمر بحبه.

وخالص المحبة هي الخُلّة: وهي كمال المحبة المستغرقة للمحب:

---

(1) رواه البخاري (٢٩٢/١١، ٢٩٧) دون قوله (وما ترددت...) ولشيخ الاســـلام جوابًا قيمًا على سؤال حول التـــردد المـــذكور في الحـــديث: يراجـــع " المجمـــوع" (١٢٩/١٨).

قـــــد تخللـــــت الـــــروح مـــــني
وبـــــذا سُـــــمي الخليـــــل خلـــــيلاً

وقد اتخذ الله لنفسه خليلين من أهل الأرض: إبراهيم ومحمد – عليهما الصلاة والسلام – قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (النساء: ١٢٥).

وفي الصحيح عنه – صلى الله عليه وسلم – « **لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صـــاحبكم خليل الله**» [1].

مع أنه – صلى الله عليه وسلم – أحب شخصًا، فكان زيـــد حبِّ رسول الله وكذلك ابنه أسامة، فوصف نفســـه – صـــلى الله عليه وسلم – بمحبة أشخاص، فعلم من ذلك أنه أخص من مطلـــق المحبة بحيث هي من كمالها وتخللها في المحبة حتى يكون المحبوب بهـــا محبوبًا لذاته لا لشيء آخر يؤدي إلى تأخر المحبة عن ذلك الغير، فمن كمالها أنها لا تقبل الشركة والمزاحمة، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب، وقد وجد ذلك في نبينا – صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه مسلم (٥/١٥٢) شرح النووي.

محبة العبد لربه

محبة العبد لربه من أعظم واجبات الإيمان عند أهل السُنّة وأكبر أصولها وأجل قواعدها، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمـــان ولوازمه، والله سبحانه وتعالى يُحِب أن يُحَب ويرضى ما هو الغاية المقصودة في رضاه ويحب الوسيلة تبعًا لذلك.

وقد نطق الكتاب والسنة بذكر محبة العبد لربه كما في قولـــه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقـــرة: ١٦٥) أشد حبًا من حب الأتباع لمتبوعيهم. وقال: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

وقد جعل النبي – صلى الله عليه وســـلم – تقـــديم محبـــة الله ورسوله على غيرهما من خصال الإيمان ومن علامات وجود حلاوة الإيمان: « **ثلاث من كن فيه فقد وجد حلاوة الإيمان: أن يكـــون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**... » الحديث متفق عليه [1]

ولا شك أن هذا أعظم الحب، فإن وجود حلاوة الإيمان بحب الله عمّن سواه، ووجود محبة الرسول من محبة الله، وهذا يقتضـــي كمال الذل والخضوع، وهو أصل دعوة الرسل: فإفراد الله " بالإلهية " المتضمنة لمحبة الله وحده من كل وجه وليس شيء يُحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى، وكذلك لا تصلح " الإلهية" إلا له، ذلـــك لأن " التأليه ": المحبة والطاعة والخضوع، والإله هو الذي يألهه العباد حبًا وذلاً ورجاءً وتعظيمًا وطاعة، وأصل " التأله": التعبد، والتعبد

---

(1) رواه البخاري (١/٥٦ ، ٥٨) ، ومسلم (٤٣).

آخر مراتب الحب. فإن أول مراتب الحب: العلاقة ثم الصـــبابة ثم الغرام ثم العشق، ثم الشوق ثم التيمم وهو التعبد.

ومحبة العباد على نوعين:

١) محبة محمودة: وهي محبة الله، وهي أصل السعادة ورأسها، ولا تكتفي هذه وحدها للنجاة من عذاب الله والفوز بثوابه؛ فـــإن المشركين واليهود وعبَّاد الصليب وغيرهم يحبون الله، فلا بـــد إذن من:

أ- محبة ما يحبه الله: وهذه هي التي تُدخل الإسلام وتخرج مـــن الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

ب- الحب لله وفيه: وهي من لوازم ما يحبه الله.

٢- محبة مذمومة: وهي المحبة مع الله، هذه محبة الكافرين الذين اتخذوا أوليائهم أندادًا من دون الله، فهذه من أعظم أنـــواع المحبـــة المذمومة.

والمحبة أصل كل عمل ديني، وكل عمل ديني متضمن للمحبـــة مع الذلّ، والعبادات وسائل تقرب إلى المحبوب، فمحبة العبـــادات والطاعات علامة لمحبة الله، وإلا فمن لا يحب الله لا يحـــب طاعتـــه وعبادته، فالذي يعمل بِعِوَض – مثلاً – لينال منه خيرًا أو لـــدفع عقوبة عنه فإنه يكون معاوضًا له أو مفتديًا منه لا يكون محبًا لـــه، فمحبة الله لا تعلق لها بمجرد العوض، فقد يستأجر الرجل مـــن لا يحبه بحال، فعلم أن ما وصف الله به عباده المؤمنين من أنهم يحبونـــه يمتنع أن يكون معناه مجرد محبة العمل الذي يناله به بعض الأغراض

المخلوقة من غير أن يكون ربهم محبوبًا أصلاً.

فالخوف والرجاء والإنابة والتوكل والخشوع والخضوع وغـــير ذلك من العبادات مستلزمة للمحبة – فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه، والخائف يفر من الخوف لينـــال محبوبـــه، ولهذا كانت الجنة دار المحبين، وهي اسم جامع لكل خير، ومن ذلك الخير التمتع بالنظر إلى وجه الرب المحبوب.

– وهنا يتبيّن زوال الاشتباه في قول من قال: "ما عبدتك شوقًا إلى جنتك ولا خوفًا من نارك، وإنما عبدتك شوقًا إلى رؤيتك".

فإن هذا القائل ظن هو ومن تبعه أن الجنة لا يدخل في مسماها إلا الأكل والشرب واللباس والنكاح والسماع ونحو ذلك مما فيـــه التمتع بالمخلوقات، فعلم أن الجنة هي: الدار الجامعة لكـــل نعـــيم وأعلى ما فيه: النظر إلى وجه الله تعالى وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة.

فاستوجب هنا حب الله بفعل أوامره واجتناب ما نهـــى عنـــه وزجر وتحمل المشاق وإيثار ذلك على أغراض الدنيا ولهذا قيل: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومـــن عبـــده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

ولا شك أن ذكر الله من أعظم الوسائل التي تثمر عنها المحبـــة والمحبة إذا لم تكن مقترنة بالخوف فإنها لا تنفع صاحبها، بـــل قـــد تضره، لأنها توجب الإذلال والانبساط، وربما زلت بكـــثير مـــن

الجهال إلى أنهم يستغنون بها عن الواجبات باعتقادهم أن القصد من العبادات إنما هو عبادة القلب وإقباله على الله ومحبته له وتألهه لـــه، فإذا حصل المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل!

* * *

الجهاد

الحب يتطلب الجهاد وبذل النفس والنفيس من أجل المحبـــوب ولأن المحب يحب ما يحبه محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه فهو موافق له في محبوبه ومكروهه وولايته وعداوته. ومن المعلوم أن من أحب الله الحب التام والحب الواجب فلا بد له من بغض أعدائه وأهـــل معصيته يبغضهم بقدر معصيتهم، فصاحب الكبيرة مبغوض أكثـــر ممن أتى بالصغائر وهكذا.. نحب الشخص بقدر ما فيـــه حبًـــا لله ولرسوله ونبغضه بقدر ما يكون بعيدًا عن الله ورسوله.

- ومن أحب الله لا يجوز له موالاة ومحبة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، فإن حب الله يفسده مودة الكـــافرين. وإذا علم تحريم موالاة أعداء الله تعالى وموادتهم، فليعلم أيضًا أن الأسباب الجالبة لمودتهم كثيرة منها: مصافحتهم وزيارتهم وتـــولي أعمـــالهم والتزيي بزيهم والفرح بأعيادهم والتأدب بآدابهم وتعظيمهم بالقول والفعل:

أتحـــب أعـــداء الحبيـــب وتـــدَّعي
حبًـــا لـــه مـــا ذاك في إمكـــان
شـــرط المحبـــة أن توافـــق مـــن تحـــب

علــــى محبتـــــه بـــــلا عصـــــيان
فـــإذا ادَّعيـــــت لــــه المحبـــــة مـــــع
خلافك مما يحــب لأنـــت ذو بهتـــان

وحاصل ما تقدم أن من أحب قومًا حُشر معهم.

وجاء رجل لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يخطب على المنبر فقال له متى الساعة؟ فقال له النبي: «**ما أعددت لهـــا؟**» قال الرجل: والله يا رسول الله ما أعددت لها كثير صوم ولا صلاة، لكني أحب الله ورسوله. فقال النبي – صلى الله عليـــه وســـلم –: «**أنت مع من أحببت**» [1].

لماذا نحب الله؟

أفضل نعمة يرجع بها العبد لربه نعمة الخلق والإيجاد ثم الهداية، وأسرع دواعي المحبة ورودًا على الذهن هي تلك النعم التي يخـــوض العبد فيها خوضًا، وهي على كثرتها وسعتها محصورة به ســبحانه ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ (النحل: ١٨) ﴿**وَمَا بِكُـــمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ (النحل: ٥٣).

وهذه المحبة أيضًا متولدة من الإدراك الكامل لقدرة الله وجماله وجلاله ولطفه وإحسانه وجمال خلقه وإبداعه في عزة وإتقان ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ (سورة النمل).

إن شئت في فلـــك أو شـــئت في ملـــك

---

[1] رواه البخاري رقم (٣٦٨٨).

أو شئت في مدر أو شـــئت في حجــر

فالكـــــــل ينطـــــق أن الله خالقــــــه

وهو المليـــك ورب النفـــع والضـــرر

وقال آخر:

يقولـــون أيـــن الله أيـــن عجائبــــه

وذا الكون سِفر واضح وهـــو كاتبــه

فـــأي امـــرئٍ في الجـــوِّ يرســـل طرفـــه

إذا مـــا بـــدت أقمـــاره وكواكبـــه

عجائــــب ربي في الأنـــــام كــــثيرة

ولكن جهـــل المـــرء لا شـــك غالبـــه

فاغتباط القلب واطمئنانه إلى محبوبة المنعم المفيض من خـــلال آياته في الكون لأعظم برهان وأكبر دليل على حب الله، فيصـــبح القلب بذلك مشغولاً به ذاكرًا له، يجد لذة الارتياح في طاعته وعدم مخالفته ولا ضائق به صدره إذا ناله شيء في سبيله صابرًا محتسبًا غير متبرِّم به.

* وتتلخص محبة العبد لربه والأسباب الجالبة لها بالآتي:

١) معرفة نعم الله عليه وعظيم كرمه ومنّه ومطالعة ذلك ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**...﴾ (النحل: ١٨).

٢) معرفة الله وحب سماع أسمائه وأوصافه — والإيمان بعلو الله المطلع على كل شيء ليكون في القلب إمامًا يقصده ويتقرب إليـــه

ويتوجه إليه فمن عرف الله أحبه ومن أحبه أطاعه، فطاعة المحبـــوب عنوان محبته.

تعصـــى الإلـــه وأنـــت تـــزعم حبـــه
هـــذا محـــال في القيـــاس بـــديع
لـــو كـــان حبـــك صـــادقًا لأطعتـــه
إن المحـــب لمـــن يحـــب مطيـــع

٣) محبة الأذكار والاشتغال بها على كل حال، فإن المحـــب لا يشبع من ذكر محبوبه، وكذلك محبة القرآن الجالبة لحبـــه وتـــدبره وتفهم معانيه، بحيث يُغني سماعه عن سماع غيره .. وعلى مدى محبة الله تكون محبة كلامه، فمن أحب محبوبًا أحب حديثه والحديث عنه كما قيل:

إن كنـــــــت تـــــــزعم حـــــــبي
فلـــــــم هجـــــــرت كتـــــــابي
أمـــــا تأملـــــت مـــــا فيـــــه
مـــــن لذيـــــذ خطـــــابي

٤) اتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما أمر وفيمـــا نهى وتقديم محابه على محاب النفس عند غلبات الهوى.

٥) الجهاد في سبيل الله تعالى.

٦) التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

٧) محبة الناس له دليل على محبة الله تعالى له ووضع محبتـــه في

قلوب الناس.

٨) الشعور بالحاجة إلى هداية الله له والفقر إليه في كل لحظة.

٩) انكســـــار القلـــب بالكلية بين يدي الله تعالى والإذلال له، وهذا من أعظمها..

تــــذلَّل لمــــن تهـــوى لتكســــب عــــزّه
فكم عزةٍ قــد نالهــا المــرء بالــذل

١٠) محبة الخلوة وقت النزول الإلهي لمناجاته ولتلاوة كلامه.

يقول تقي الدين بن شقير: خرج شيخ الإسلام بن تيمية يومًـــا فخرجت خلفه، فلما انتهى إلى الصحراء وانفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد سمعته يتمثل بقول الشاعر:

وأخـــرج مـــن بـــين البيـــوت لعلّـــني
أحدث عنك القلـــب بالسِّـــرُّ خاليًـــا
وكـــــل حبيـــــب ذاكـــــر لحبيبـــــه
يرجـــى لقـــاه كـــل يـــوم ويطمـــع

١١) الغيرة على محارم الله وأقوى الناس حبًا أعظمهم غـــيرة، وأقلها أن يغار على نفسه وهواه وشيطانه.

محبة النبي

واجبنا نحو نبينا صلى الله عليه وسلم:

* محبته: محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – دين يدين بـــه كل مسلم بل هو أمر واجب لا خيار فيه فهو حبيبنا وحُبه يفـــوق

حب النفس والأهل والمال، وهذه المحبة تدور على أمور:

١) النفع والإحسان والحرص من قبل المحبوب على المحب:

ولا يختلف اثنان على أن نبينا – صلى الله عليه وسلم – نفعنا وأحسن إلينا وحرص علينا أكثر من حرصنا على أنفسنا، ولـــيس أحد أحرص علينا بعد الله من محبة نبينا وشفقته لنا، وقد وصفه الله بذلك في كتابه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). هذه الرحمة حقيقية نال منـــها الخلـــق نصـــيبًا وتفاوتوا فيها حتى الكافر نال منها فأمن من عـــذاب الاستئصـــال الذي حصل للأمم السابقة، بل حتى البهائم نالت مـــن رحمتـــه – صلى الله عليه وسلم – فأمرنا بعدم إتعابها وإيذائها وحسن معاملتها – أخرج مسلم من حديث أبي هريرة أنه قيل لرسول الله - صـــلى الله عليه وسلم – ادعُ على المشركين، فقال: «**إني لم أبعث لعَّانًا إنما بعثت رحمة**» م٨/٢٤.

وفي المستدرك بسند على شرط الشيخين (٣٥/١) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «**إنما أنا رحمة مهداة**» صحيح مرسل كما في السلسلة (٢٥٩/١) للألباني.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال أن النبي صـــلى الله عليه وسلم قال: «**مثلي كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل**

يحجزهن [١-٢] **ويغلبنه فيقتحمن فيها، قال: فذالكم مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلـــم عـــن النـــار، فتغلبوني تقحَّمون فيها** » م رقم (٢٢٨٥).

وعن عبد الله بن عمرو قال: تلا رسول الله – صلى الله عليـــه وسلم – قول الله تعالى ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَـــنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِـــيمٌ *﴾ (ابـــراهيم: ٣٦).

وقوله سبحانه على لسان عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَـــذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *﴾ (المائدة: ١١٨). فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتي أمتي**» وبكى، فقال الله عز وجل" «**يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيه**، وربك أعلم؟

فأتاه جبريل فسأله؟ فأخبره بما قال – وهو أعلم – فقـــال الله: «**يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضـــيك في أمتـــك ولانسوؤك**» م، الجامع ٥٤٦/٨ وصححه ابن حبان (٢٥١٣).

قال الشورى: وإرسال جبريل إظهار شرف النبي – صـــلى الله عليه وسلم –.

قال الباقري: أرجى آية في القرآن: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّـــكَ فَتَرْضَى *﴾ (الضحى: ٥) ومن مقتضيات حديث مســـلم أن لا

---

(١) يحجزهن: أي يمنعهن، وأصل الحجز مقعد الأزار والسراويل.

(٢) م(٢٢٨٥) رقم (٣٦١/٣ ، ٣٩٢).

يعذب الله أحدًا من أتباعه، ومن زلَّ فباب التوبة وارد، وقد اختار النبي – صلى الله عليه وسلم – الشفاعة مقابل دخول نصف أمتـــه دون حساب، روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: « **لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة...** » [١].

٢) الذي من أجله يُحَب الإنسان:

إذا كان منبع الكمالات الفضائل والمحاسن:

فلا خلق الله ولا صور ولا برأ من نفس أشرف منه – صـــلى الله عليه وسلم – فإنه أعظم المخلوقات 'حسانًا: –

لـــو لم تكـــن فيـــه آيـــات مبينـــة

كانـــت بديهتـــه تنبيـــك بـــالخبر

فوجد فيه – صلى الله عليه وسلم – سببا المحبـــة والكمـــال والإحسان فمحبته تفوق حب النفس والمال والولد، قال صـــلى الله عليه وسلم –: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكـــون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» [٢].

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال: كنا مـــع النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال له عمر: « يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان برقم (١٩٩).

(٢) متفق عليه.

كل شيء إلا من نفسي» فقال النبي صلى الله عليه وسـلم: «**لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحب إليَّ من نفسي " فقال رسول الله – صلـى الله عليه وسلم: «**الآن يا عمر**» [١].

قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ، وقوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث أبي هريرة في قصة الصلاة على من عليه دين: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم**» م (١١/٣) والنسائي (٢٣٤/١).

٣) ترجمة محبته – صلى الله عليه وسلم – يكون بأمرين:

أ – اتباع شرعه والالتزام بهديه والمحافظة على سنته واتباعه في جميع أمره. عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به** » [٢].

وعن ابن عباس قوله – صلى الله عليه وسلم – « **من تمسك بسُنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد** » [٣]. بيد أن محبته – صلى الله عليه وسلم – يجب أن تقاس بمقياس الشرع ومعيار الكتاب والسُنّة، فشتان بين المحبة الحقيقية والمحبة المدعاة المزيفة وفصل ما

(١) رواه البخاري في أوائل كتاب الايمان والنذور عن عبد لله بن هشام.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الزهد، وابن أبي عاصم في السنة والبغوي في شرح السنة وفيه نظر.

(٣) ضعيف، وله شاهد عند الطبراني يقبل التحسين.

بينهما تحقيق المتابعة للمحبوب ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣١) فالمحبـــة لا تقوم على الألفاظ والمظاهر والشكليات والذكريات والمناسبات في ليالٍ معلومات دون اتباع مدى الحياة إلى الممات.

أنظر لنفسك أيها المحب من أي الفريقين أنت:

يقول ابن القيم في ذلك:

أتحـــــب أعـــــداء الحبيـــــب وتـــــدعي
حبًـــــا لـــــه مـــــا ذاك في إمكـــــان

وكـــــذا تُعـــــادي جاهـــــدًا أحبابـــــه
أيـــن المحبـــة يـــا أخـــا الشـــيطان

شـــرط المحبـــة أن توافـــق مـــن تحـــب
علـــى محبتـــه بـــلا عصـــيان

فـــإذا أدعيـــت لـــه المحبـــة مـــع
خلافـــك مايحـــب فأنـــت ذو بهتـــان

ولما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على حق دعواهم، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حُرقة الشجيّ، فلا قبـــول للدعوة إلا بالبينة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ...﴾ وقال طائفة مـــن السلف نزلت هذه الآية بعد أن ادعى قوم أنهم يحبـــون الله، فـــبين سبحانه أن محبته توجب إتباع الرسول.

ذلك: أنه ليس بعد الله سبحانه أحد أمن علينا من رســـولنا –

صلى الله عليه وسلم – ومحبته في الحقيقة من محبة الله، فمن أحـــب الله فلا بد له من محبة الرسول ذلك أن محبة الله لم تعرف إلا مـــن طريقه ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْــوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُـــمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـــارَةٌ تَخْشَـــوْنَ كَسَـــادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِـــقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤).

ويقول النبي – صلى الله عليه وسلم – « **أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي** »[1].

قال القاضي عياض: المحبة ثلاثة أقسام: –

١) محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد.

٢) محبة شفقة ورحمة كمحبة الولد.

٣) ومحبة مشاكله واستحسان كمحبة سائر الناس.

فجمع النبي – صلى الله عليه وسلم – أصناف المحبة في محبته.

ب) كثرة الصلاة عليه:

من المعلوم أن من أحب شيئًا لهج بذكره:

يقول الشاعر:

فـــإن نطقـــت فلـــم ألفـــظ بغيركـــم

(١) رواه الترمذي والحاكم.

وإن سكت فـــأنتم عنـــد إضـــماري

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَـــا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا**».

وعند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «من صلى عليَّ صلاةً واحدةً صـــلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة».والحديث حسن ولا تعارض بين الروايتين، ففي المسند وصحيح ابن حبان عن أبي طلحة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أصبح يومًا طيب النفس يـــرى في وجهـــه البشر، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، أصبحت اليوم طيب النفس يُرى في وجهك البشر؟ قال: «**أجل، أتاني جبريل فأخبرني أنه مـــن صلّى عليّ صلاة واحدة، كتب الله له عشر درجات ومسح عنه عشر سيئات، وصلى عليه مثلها**».

والصلاة تبلغه وتصله ويرد عليها، أما يوم الجمعة فتزيد الصلاة ويحصل زيادة تعريف.

ودلت الأحاديث عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه من اشتغل بكثرة الصلاة والسلام عليه، كفاه الله ما أهمه وأغمـــه مـــن أمـــر الدارين وحصل له السعادة فيهما.

ففي المسند والمستدرك والترمذي بسند صحيح، عن أُبيّ بـــن كعب قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا ذهبا ثلثا الليل

قام ونادى بأعلى صوته: «**يا أيها الناس، اذكـــروا الله؛ جـــاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه**» – يكررها مـــرتين – فقال أُبيّ يا رسول الله: إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟[1] فقال: «**ما شئت**»، فقال أُبيّ: الربع، فقال النبي: «**مـــا شئت، وإن زدت فهو خير لك**»، فقال أبي: أجعل لـــك نصـــف صلاتي؟، فقال النبي: «**ما شئت، وإن زدت فهو خير لك**»، قال: أجعل لك صلاتي كلها، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – «**إذن يكفيك الله همك ويغفر ذنبك**».

وهذه حقيقة، فمن لازم ذكر الله تعالى وكثرة الصلاة عليه – صلى الله عليه وسلم – ذهبت عنه الغموم والهموم، وهـــي تزيـــد الانشراح وتوسع الأرزاق.

ومن شقاء الإنسان قلة الصلاة عليه، فإن أولى الناس بالشفاعة ودنو المنزلة والمجالسة منه – صلى الله عليه وسلم – الذين يكثرون عليه الصلاة، فعن ابن مسعود قال إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال « **أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صـــلاة**». رواه الترمذي وابن حبان. قال أبو نعيم: " وفي ذلك منقبة لأهل الحديث لا تجدها لعصابة من أهل الأرض".

أهـــل الحـــديث هـــم أصـــحاب الـــنبي
وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صـــحبوا

---

(1) الصلاة هنا بمعنى الأوراد والأذكار والأدعية.

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالـــت: زينـــوا مجالســـكم بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فدعوى محبة النبي – صلى الله عليه وسلم – بحاجة إلى دليـــل وبرهان، لأن من تعلق بشيء رآه بنومه غالبًا، وأذكر هنا طرفة فيها عبرة للذين يدعون محبة النبي – صلى الله عليه وسلم – دون اتباع لهديه والعمل بسنته، " في مجلس من مجالس العلم وبعد أن انتـــهى الشيخ من الحديث عن محبة النبي – صلى الله عليه وسلم – اعترضه أحد تلامذته بأنه يحب النبي – صلى الله عليه وسلم – حبًـــا جمًـــا لكنه لم يره في المنام، فدعاه الشيخ للمبيت عنده تلك الليلة وقدّم له عشاء أكثر فيه من الملح، فطلب التلميذ ماء ليذهب شدَّة الملوحـــة، لكن الشيخ اعتذر عن وجود الماء، ونام التلميذ تلك الليلـــة عنـــد الشيخ، وفي منامه بدأت مياه الأمطار والأنهار وسيل الوديان تـــرد عليه في منامه من كل مكان، فلما أصبح أخبر الشيخ بالذي رآه في نومه، فقال له الشيخ: "صدق عطشك فرأيت الماء، ولو صـــدقت محبتك للنبي لرأيته".

جـــ) الاستعداد التام لبذل الأنفس والأموال دونه صـــلى الله عليه وسلم:

بذل النفس دونه كمـــــــا كان أكثر هذه الأمة له حبًا إذ كانوا من شدة حبهم له يقونه صلى الله عليه وســـلم في الحـــرب بنفوسهم حتى يصرعوا حوله:

ولي فـــــؤاد إذا لجّ الغـــــرام بـــــه

هـــام اشـــتياقًا إلى لقيـــا معذِّبـــه

يُفديك بالنفس من لـــو قـــد يكـــون لـــه

أعز مـــن نفســـه شــــيء فــداك بـــه

ولا يتم لعبد مقام الإيمان حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم – أحب إليه من نفسه فضلاً عن أبناءه وآبائـــه «**لا يـــؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه مـــن والـــده وولـــده والنـــاس أجمعين**»[1].

وكذلك حكّم الصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أموالهم ونفوسهم، يقاتلون من بين يديه ومن خلفه، وقـــد مـــرَّ حديث عمر في حب النبي أكثر من النفس، وقال قيس بن أصـــرم الأنصاري:

ثوى في قـــريش بضـــع عشـــرة حجـــةً
يـــذكر لـــو يلقـــى حبيبـــا مؤاتيَـــا
ويعـــرض في أهـــل المواســـم نفســـه
فلم يرَ مـــن يـــؤوي ولم يـــرَ داعيَـــا
فلمـــا أتانـــا واســـتقرَّ بـــه النـــوى
وأصـــبح مســـرورًا بطيبـــه راضـــيَا
بـــذلنا لـــه الأمـــوال مـــن حِـــل مالنـــا
وأنفســـنا عنـــد الـــوغى والتآســـيَا
نعادي الذي عادى مـــن النـــاس كلـــهم
جميعًـــا وإن كـــان الحبيـــب المصـــافيَا

---

(1) أخرجه البخاري (١/١١) ومسلم برقم (٢٨٦٥).

ونعلـــــــــم أنَّ الله لا ربَّ غـــــــــيره
وأن رســـــول الله أصــــبح هاديَـــا

وهذا زيــد بن الدثنة يخرجه أهل مكة من الحرب كي يقتلوه فيجتمعون حوله فيقول أبو سفيان: "أنشدك الله يا زيد، أتحـب أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – عندنا الآن في مكانك فنضـرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله لا أحب أن محمدًا الآن في مكانه هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي" [1].

لماذا نحب النبي صلى الله عليه وسلم:

إن محبتنا لنبينا – صلى الله عليه وسلم – لها كثير من الدواعي والمبررات أذكر بعضها:

أ – أوجب الله محبته وطاعته وقرنها بمحبته وطاعته قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ (آل عمران: ٣١). وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠).

فالله سبحانه وتعالى اصطفاه واختاره على خلقه لرسالته، وجعله سيد ولد آدم وأتم خلقه وخُلقه وأدبه وأحسن تأديبه.

وأفضـــل الخلـــق علـــى الإطـــلاق
نبينـــا، فمِـــل عـــن الشـــقاق

وقد ثبت في الصحيح وغيره أن الله إذا أحب عبدًا وضع لــه

(١) سيرة ابن هشام ٣/٩٥.

المحبة والقبول في السماء والأرض فإذا كان هذا في الناس الذين هم دون النبي فكيف به – صلى الله عليه وسلم –

ب- لرأفتـــه ورحمته بأمته وحرصه على هدايتها وإنقاذها من النار قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَـا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ *﴾ (التوبة: ١٢٨).

وفي حديث مسلم: أنه – صلى الله عليه وسلم – بكى علـــى أمته وتردد جبريل بينه وبين ربه، إلى أن قال له ربه: «**إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك**» [(١)]

ج- دينه خير دين وشريعته وتعاليمه أحسن الشرائع والتعاليم، يرغب دائمًا في التسهيل على أمته والتيسير عليها، وكان – صـــلى الله عليه وسلم – ما يُخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكـــن إثمًا، وهو القائل: «**يســـــروا ولا تعســـــروا وبشـــــروا ولا تنفروا**» [(٢)].

د – عطفه وشفقته وصفحه، أنه – صلى الله عليه وســـلم – ادّخر لأمته دعوته إلى يوم القيامة لتكون هي الشفاعة لهم في أشـــد الأزمات وأحرجها.

وكان دائمًا يدعو لأمته ويهتم بشأنهم، فما طلب أحدٌ من أن يدعو له إلا قال: «**اللهم اغفر لفلان.. اللهم اغفر لآل فـــلان**»،

([١]) رواه مسلم ، الجامع ٥٤٦/٨.

([٢]) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، اللؤلؤ والمرجان رقم (١٦٦٠).

وما أحد طلب مرافقته في الجنة إلا أرشده إلى التشمير والاجتـــهاد ودعا الله له بذلك.

وكان يقول: «**لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي فأني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر**». وكان يســـمع بكـــاء الصبي فيتجوَّز في صلاته، ودخل الحسن وهو ﷺ يصـــلِّي فركـــب ظهره وهو ساجد فأبطأ – صلى الله عليه وسلم – في سجوده حتى نزل، فلما سأل عن إطالته قال: «**إنَّ ابني ارتحلـــني فكرهـــت أن أعجله**».

ولا أدل عن صفحه وعفوه وحلمه مما فعله حين نصره الله على قريش وفتح مكة، فلم تأخذه نشوة النصر ولم يستبد به الظفر، بل طأطأ رأسه على رحله.

هـ- حسن عشرته وكمال أدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق، فكان – صلى الله عليه وسلم – أوسع الناس صدرًا وألينهم عريكة وأصدقهم بهجة وأكرمهم عشرة، وكان يؤلِّف ولا ينفِّـــر ويكـــرم كريم قوم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحـــد منهم شر أو سوء، وكانت تأخذ الجارية بيده تذهب به حيث شاء فيقضي حاجتها، وكان دائم البشر، سهل الخلق لين الجانبـــ لـــيس بفظٍ ولا غليظ ولا صخَّاب ولا فحاش ولا عيـــاب ولا مـــداح، يتغافل عما يشتهي، يجيب من دعاه ويقبل الهدية ويكافئ عليهـــا، وكان يمازح أصحابه، ويبدأ من لقيه بالســـلام ويبـــدأ أصـــحابه بالمصافحة، يكرم من دخل عليه ويؤثره بالوسادة، وكـــان يكـــني

أصحابه ويغير أسماءهم ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمةً لهـــم، ولا يقطع على أحد حديثه، وكان أكثر الناس تبسمًا وأطيبـــهم نفسًـــا وريحًا.

و- وفاؤه وحسن عهده وتمام وعده: كان – صلى الله عليـــه وسلم – يدعو إلى الصلة وحسن العهد، فيرسل الهدية إلى أصحاب خديجة بعد موتها وغيرها..

هذه بعض صفاته – صلى الله عليه وسلم – وأخلاقه الحميدة العطرة هذا بعض من كل، فهنالك نظافته، وفصاحة لسانه وبلاغة كلامه وشجاعته ونجدته وحياؤه وإغضاؤه وأمانته وعفته وصـــدق لهجته وحسن حديثه. إلى غير ذلك مما يحتاج إلى مجلد كبير.

وبالجملة فقد كان – صلى الله عليه وسلم – محلى بصـــفات الكمال البشرية، أدبه ربه فأحسن تأديبه، وأثنى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ *﴾.

لذا كانت هذه الخلال محببة إلى القلوب تذهب فيها النفـــوس كل مذهب.

اللهم إنا نسألك حبك وحب نبيك – صلى الله عليه وسلم – وحب كل عملٍ يقربنا إلى ذلك فهذا واجب علينـــا، ذلـــك لأن "محبوب المحبوب محبوب".

وقد أثبت النبي – صلى الله عليه وسلم – المحبة لأناس يـــأتون بعده بمئات السنين وأخبر عنهم أن أحدهم يتمنى رؤيته بكـــل مـــا يملك.

فعن أبي هريرة قال أن رسول الله – صلى الله عليه وســـلم – قال: «**من أشد أمتي لي حبًا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لـــو رآني بأهله وماله**» م حم.

ولا ينبغي أن يُفهم أن المؤمنين الذين يأتون بعد النبي – صـــلى الله عليه وسلم – أفضل من الصحابة، كلا، فقد قرر العلماء أن من صحب النبي ورآه مرة من عمره وحصل له شرف الصحبة أفضـــل من كل من يأتي بعده، فإن فضيلة الصحبة لا يعدلها شيء ولا يماثلها عمل حتى لو «**أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**» م.

قال النووي: وسبب تفضيلهم أن نفقتهم كانـــت في وقـــت الضرورة، وضيق الحال وفي نصرة النبي وحماية له وذلـــك معـــدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، بل لشفقتهم وبـــرّ قلـــوبهم وتوددهم وخشوعهم وطاعتهم وإيثارهم وحبهم للـــنبي صـــلى الله عليه وسلم.

*** علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم في القلب:**

١) فَقْدُ رؤيته يكون أشد عليه من فقد أي شيء آخر.

٢) تمني حضور حياته – صلى الله عليه وسلم – كي يبـــذل نفسه وماله دونه.

٣) امتثال أوامره وتجنب نواهيه.

٤) الانتصار لسنته والذب عنها وعن شريعته.

فإذا توفرت هذه في شخص فليحمد الله على وجود حـــلاوة حب للنبي في قلبه، وإذا فقدها أو بعضها فليحاســـب نفســـه ولا يحاول خداع نفسه والآخرين.

لكن المشاهَد والواقع أنه حتى العامي عنده حب لنبيه ويتلهف شوقًا وحنانًا لفدائه بعزةٍ واندفاع بماله وولده، لكن هـــذه المحبـــة الكاملة المغمورة بسلطان الهوى والطبع وغواية الشيطان ومشـــاغل الدنيا.

قال القرطبي ما خلاصته: "إن كل مؤمن إيمانًا صحيحًا لا يخلو من وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، حـــتى أن كـــثيرًا مـــن المستغرقين في الشهوات إذا ذكر النبي اشتاق لرؤيته بحيث يؤثرهـــا على أهله وماله، لما وقر في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك ســـريع الزوال لتوالي الغفلات ".

قال سهل بن عبد الله: " علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي وعلامة حب النبي حب السنة، وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبي وحب السنة حب الآخرة وعلامـــة حب الآخرة أن يحب نفسه وعلامة حب نفسه أن يـــبغض الـــدنيا وعلامة بغض الدنيا، ألا يأخذ منها إلا الزاد والبُلغة ". [1]

التحذير من الغلو فيه
صلى الله عليه وسلم

(1) القرطبي: ٤/٦٠.

الغلو: وهو مجاوزة الحب فيه ورفعه عن مستوى العبوديـــة إلى مستوى الألوهية.

وقد حذر النبي – صلى الله عليه وسلم – في أكثر من حديث من الغلو فيه وإطرائه وإنزاله فوق منزلته بحيث تؤدي إلى المســـاس بحقوق الله ومنزلته تعالى ففي البخاري والمسند أن ابـــن عبـــاس – رضي الله عنه – قال: سمعت عمر يخطب على المنبر فقال سمعـــت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «**لا تطروني** [1] **كمـــا أطرت النصارى بن مريم، فإنما أنا عبـــد الله، فقولـــوا عبـــد الله ورسوله**».

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – أن رجلاً جـــاء للـــنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال له "ما شاء الله وشئت" فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -: «**أجعلتني لله ندًا؟!.. قـــــال ماشـــاء الله وحده**» رواه ابن حبان والنسائي وذكره في الأدب المفرد إلا أنـــه قال: «... **لله عدلاً**» والطحاوي، والبيهقـــي وحســـنه الألبـــاني السلسلة (١/٥٧).

قال ابن كثير: وهذا منه – صلى الله عليه وسلم لحماية جناب التوحيد لما ذكر هذا الرجل المشيئة مقرونة مع مشيئة الله تعالى مع " الواو " التي تفيد التسوية، ومشيئة الله لا تتعلق وغـــيره بمشـــيئته ". والله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّـــهُ﴾ (الإنســـان: ٣٠).

---

(١) الإطراء: هو المدح الباطل ومجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

فمـــا شـــئتَ كـــان وإن لم أشـــأ
ومـــا شـــئتُه إن لم تشـــأ لم يكـــن

وهذا مثل الألفاظ الشركية المنتشرة اليوم، كقــولهم: باســم الشعب، باسم الكلمة باسم الشرف والوطن، أو يحلــف بــالنبي وحياته أو بالجاه أو بالكعبة [1] أو السجود لمسئول أو الانحناء أمامه أو خفض الرأس إشارة للسجود، فهذا كله لا يجوز.

فعن ابن أبي أوفى أن معاذًا لما قدم من الشام ســجد للــنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – «**مــا هذا يا معاذ؟!**»، فقــال: أتيــت الشــام فوجــدهم يســجدون لبطارقتهم.. فأنت أحق بالسجود منهم، فقال: «**يا معاذ، إنــه لا ينبغي السجود إلا لله، ولو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمــرت المرأة أن تسجد لزوجها**» ابن حبان وتكرر هذا عن أكثــر مــن صحاب. كما في السنن.

---

(1) ويجوز الحلف بالقرآن لأنه كلام الله، وكلام الله متعلق بذاته فيجوز الحلف به.

تنبيهات

١) القسم بالنبي؟

ذكر شيخ الإسلام ابـــن قدامـــه في كتابـــه العظـــيم المغـــني (١١/٢٠٩) على متن الخرقي أنه جوّز الحلف بالنبي، وذهب إلى أنه كما يجوز الحلف بالركن الأول يجوز بالثاني وقال هو قول لأحمد – !! أقول: نحن في شك بأن أمام أهل السنة قال مثل ذلك، بل نجزم كل الجزم بأنه لم يفعله، وقد أخطأ ابن قدامه رحمه الله وغفر له عن نسبة ذلك لإمام أهل السنة، ويقول هذا دليل عقلي لا يبنى عليـــه الأحكام، فلا يجوز مساواة الركن الأول بالركن الثاني لعدم الشـــبه والمماثلة.

٢) أورد صاحب المستدرك حديثين:

* الأول عن عمر مرفوعًا قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «**لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب، أسألك بحق محمدًا لما غفرت لي؟ قال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه...** » الحديث.

* الثاني: قول القائل: «لولاك ما خلق الله الأفلاك».

وقال الحاكم في ذلك بصحة الإسناد – لكن تعقبـــه الـــذهبي بقوله: "بل موضوع، وهذا من فعل الدجاجة ".

وأيضًا تكلم عليهما شيخ الإسلام في رده على البكري.

* ادعاؤهم أنه – صلى الله عليه وسلم – يعلم الغيب:

ودعاه في تفريج الهموم وطلـــب الرحمـــة وقضـــاء الحـــوائج والاستغاثة به وأنه متصرف في الكون كما يريد كقول البوصيري:

جـــاءت لدعوتـــه الأشـــجار ســـاجدة
تمشـــي إليـــه ســـاق بـــلا قـــدم

ولن يفـــوت الغـــني منـــه يـــدا تربـــت
إن الحيا ينبـــت الأزهـــار في الأكـــم

يا أكرم الخلـــق مـــا لي مـــن ألـــوذ بـــه
سواك عند حلول الحـــادث الصـــمم

فـــإن مـــن جـــودك الـــدنيا وضـــرتها
ومن علومك علـــم اللـــوح والقلـــم

فما بقي لله سبحانه بعد هذا؟! بعد أن تكون الدنيا والآخـــرة من بعض جود النبي – صلى الله عليه وسلم – فإن "مِـــن" هنـــا تبعيضية، وكذلك علم اللوح والقلم من بعض علـــوم النبي – صلى الله عليه وسلم – نعوذ بالله من ذلك. والله سبحانه يقـــول لنبيـــه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ (الأنعـــام: ٥٠).

حب المؤمنين بعضهم لبعض

أولاً – حب الصحابة:

من أصول أهل السنة والجماعة محبة أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – والترضي عنهم والاستغفار لهم واعتقاد أَنهم أفضـــل الأمة، وذكرهم بالخير وترك الخوض فيما حصل بينهم من الفتن.

فقد أحبهم الله تعالى وأثنى عليهم في كتابه، وأحبهم رسوله – صلى الله عليه و سلم – في قوله: «**لا تسبوا أصـــحابي والـــذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**».

وقـــال – صلـــى الله عليه وسلم – «**لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق**»[1].

فخير القرون قرنهم في كل خير في الأعمال والأقوال والاعتقاد وفي كل عقل وفضيلة ودين وبيان وعبادة.

يقول ابن تيمية: " وكلامهم قليل وبركتهم كثيرة، وكلامنـــا كثير وبركتنا قليلة، أصابوا الحكم المشروع والهدي المتبـــوع، أبـــر الأمة قلوبًا وأعمقهم علمًا وأقلهم تكلفًا وأقومهم هديا وأحســـنهم حالاً وهديًا ".

وقـــل خـــير قـــول في الصـــحابة كلـــهم
ولا تكـــن طعّانًـــا تعيـــب وتجـــرح

---

(1) رواه البخاري (٤/٢٢٣) ومسلم (١/٦٠).

فقــد نطــق الــوحي المــبين بفضــلهم
وفي الفـــتح آي للصـــحابة تمـــدح

ومن حبنا لهم أننا نمسك عمّا وقع من خلاف وشجار بينهم:

واحذر من الخــوض الــذي قــد يــذري
بفضــلهم ممــا جــرى لــو تــدري
فإنـــه مـــن اجتـــهاد قـــد صـــدر
فقـــد أدل الله مـــن لهـــم هجـــر

ومن حبنا لهم – رضي الله عنهم – أنهم نسوا لذاتهم وهجروا راحاتهم وغادروا أوطانهم وبذلوا مهجهم وعظيم أموالهم فكـــانوا كما قال الله سبحانه فيهم: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ (آل عمران ١١٠) هم الذين رسخت في قلوبهم محبة رسوله – صلى الله عليه وسلم – حتى أصبحوا يفدونه بأعز شيء لديهم، دهش منهم أبو سفيان بقوله: " ما رأيت من الناس أحدًا أحب أحدًا كحـــب أصحاب محمد لمحمدًا"

وأذكر هنا موقفًا من مواقف الصحابة في حبهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – " لما بلغ رسول الله خروج قريش من مكة متجهًا نحو المدينة، قال: «**أشيروا عليّ أيها الناس**»، وكان يريد بكلمتـــه الأنصار، الذين بايعوه على نصرته على اعتداء داخل مدينتـــهم و لم يبايعوه على الدفاع خارج مدينتهم. فلما أحس الأنصار أنه يريدهم وكان " سعد بن معاذ " صاحب رأيهم التفت إلى رسول الله وقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله؟

قال: «**أجل**»، قال سعد: يا رسول الله! لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلـــك عهودنـــا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ لما أردت فـــنحن معـــك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنـــا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء، لعلّ الله يريك منا ما تقـــر بـــه عينك فسر بنا على بركة الله.

فأشرق وجهه – صلى الله عليه وسلم – بالمسرة وبدا عليه كل نشاط ".

ثانيًا– محبة العلماء:

أصول المحبة القائمة بيننا وتفريعها إنما يكون في الله ولله وهذا لا يأتي إلا بالعلم والمعرفة، فما أحب الله ورسوله – صلى الله عليـــه وسلم – إلا بالعلم، ولا ارتقت منزلة عالم ولا حرمته إلا بـــالعلم وكذا معرفة الله وأوليائه. ومحبة ما يحبه الله ومن يحبه الله من كمال الإيمان، فمن أحب الله أحب أولياءه ونصر أنصاره، وكلما قويـــت محبة العبد لله في قلبه قويت هذه الأعمال المترتبة عليهـــا وبكمالهـــا يكمل توحيد العبد.

وإن دين الله – الإسلام – الذي عليه أهل السنة: أن البشـــر بشر ولا معصوم إلا رسول الله – صلى الله عليه وســـلم – أمـــا الصحابة وهم المثل الأعلى في إنسانيتهم وهم مع ذلـــك يخطئـــون ويصحح بعضهم أخطاء بعض وهم مع هذا أرفع في المنزلة وطهارة

القلب وصفاء النية وسلامة المقاصد.

فأهل السنة من الصحابة ومن دونهم يخطئون لكن لا يتفقـــون على الخطأ ومن ينشد محبة الله ورسوله أو يدعي ذلك فعليه محبـــة أولياء الله ورسوله ولا يتكلم في أحد إلا أن يكون عن علم ومعرفة وعدل، ونحن في زمن قلّ فيه من يعلم وقلّ فيه من ينصف فأصـــبح الكلام في العلماء وعباد الله الصالحين وأولياءه المتقين مرتعًا يقصده الجهلة. وحديث مجالس تؤكل فيه اللحوم وتشرب فيـــه الـــدماء كشرب اللبن لفساد القصد أو التفريط في النظر أو لعجزٍ عنه.

وليعلم الأحبة: أنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه جبَّ فضله نقصه – وقد أحسن القائل:

وإذا الحبيـــب أتـــى بـــذنب واحـــدٍ
جـــاءت محاســـنه بـــألف شـــفيع

فوجب التحري في النقل وضبط الكلام وعدم الاقتصار علـــى ورود الشائعات وفهم قول القائل ومراده، فإذا عرف صلاح المتكلم مثلاً حمل كلامه على المحمل الحسن وحسن الظن بقائله.

وليس كل واحد يُخبر بما يُقال.

ثالثًا– حب المؤمنين:

الحب بين المؤمنين صفة لازمة تنبثق من الإيمان، فلا أخوة ولا محبة دون إيمان، ولهذا كانت المحبة عقيدة قوية راسخة ذات ركـــائز روحية وإنسانية لا افتعال فيها ولا تزوير، وبذلك ترتفع الأخـــوة

وتسمو عن كل منفعة دنيوية، والحب بين المؤمنين له حقوق ينقسم إلى قسمين:

١) حقوق عامة: وهذه بين المسلمين عامة، كإفشاء السلام ورده وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وإبرار القسم ونصر المظلوم والتنفيس عن المكروب، والابتعاد عن الغيبة والنميمة، وغير ذلك.

٢) حقوق خاصة: وهذا المقصود من مبحثنا هذا.

وهذا هو الحب في الله، فبين هؤلاء حقوق وخصوص، والأخ هنا من له أخوة الإسلام والإيمان معًا.

وسأذكر هنا بعض الأمور التي يجب على أهلها أن يتزينوا بها لكي يكون هنالك حقيقة الحب في الله:

ا- حق الأخوة في النفس:

وذلك بالإغاثة بالنفس على قضاء الحوائج والقيام بها قبل السؤال مع البشاشة وإظهار الفرح بذلك ومنها تفقد أحواله والسؤال عنه.

قال الحسن: " إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة ".

ب- حق الأخوة في المال:

وهذا أمر عزيز قلّ من يتخلق به في زماننا، يقول الغزالي في الإحياء: " والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاثة مراتب: -

– أدناها: أن تقوم بحاجة أخيك من تلقاء نفسك.

– وأوسطها: أن تنزله منزلة نفسك فتشاطره نصف مالك.

– وأعلاها: أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك بأن تنزل له عما يحتاج إليه من مالك وإيثار ذلك، وهـــذه انتـــهاء درجة المتحابين.

وإذا نظرنا لواقعنا اليوم وكلام الغزالي لا شك أننـــا ســـنجد اختلافًا كبيرًا، وسنلاحظ الفرق الشاسع بين محبة المؤمنين الأوائـــل لبعضهم ومحبتنا لبعضنا.

لقد ضرب الصحابة في ذلك أروع الوقائع من الأخوة والمحبـــة حتى كان الأخ يتنازل لأخيه عن إحدى زوجاته ويقسم له ماله.

هذه محبة زالت عندها العصبية الجاهليـــة وتـــوارى الحســـب والنسب والغنى والجاه وتحطمت فوارق التمييز.

فتحوا قلوبهم لإخوانهم الوافدين المهاجرين على غير إرغام بعيدًا عن نطاق العصبية لأنَّ المسلم أخو المسلم.

فنجد اليوم من يظلم أخاه ويسومه وهـــو مطمـــئن يأتيـــك بتأويلات تطمئن لها نفسه هو بما تشبَّعت به من تقاليـــد وأعـــراف بعيدة كل البعد عن الصدق، فلا بد من الإحساس بالأخوة وحبهم في الله والشـــفقة والرحمـــة والشـــعور بشـــعورهم والإحســـاس بإحساسهم، فهذا سبيل المحبة الحقيقية في الله لا المحبة المدَّعاة، وهذا سبيل النجاة وراحة البال لمن ينشدها بعيدة كل البعد عن الأطماع

والمنافع والغايات المادية.

ج – حق الأخوة في حفظ اللسان:

كف اللسان عن الأخوة والأحبة إلا بخير فلا لمز ولا ســـخرية واستهزاء وكذب في حديث وتنابذ بالألقاب، وإفشاء السر والتطلع على خبايا النفس وإشهارها أمام الآخرين.

فإذا أقيمت آصرة المحبة بين الأخوة على أساسها كانت هـــي التطبيق العملي والمثل الواقعي والسبيل لملء القلوب بالإيمان «**ولـــن تؤمنوا حتى تحابوا**»، إن مهمتنا فهم الحب في الله وإرساء قواعـــده وركائزه في نفوس الآخذين به والداعين إليه، والذي هـــو مبـــدأ التعامل بين المؤمنين والتي ربّى عليها رسول الله – صلى الله عليـــه وسلم – الجيل الأول.

وإليك أيها الأخ الحبيب المحب الوسائل الجالبة لإرساء قواعـــد المحبة بين المؤمنين، وسأوردها إليك دون شروح لأن الشروح عليها متوفرة ومبسوطة في كتب أهل العلم، فمن هذه الوسائل:

١) أن تكون المحبة مقرونة بالإيمان.

٢) أن تكون خالصة لا تشوبها مصـــلحة ذاتيـــة ولا منفعـــة شخصية.

٣) أن تكون قائمة على التناصح، وكتم السر وستر العيـــب وحُب النفع.

٤) قائمة على التعاون والتكافل حتى يكونون كالجسد الواحد.

٥) سلامة الصدر واتساعه عند اختلاف وجهات النظر وعدم الحسد له والعمل على تأمينه له كما تحـــب لنفســـك «**لا يـــؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» سبق تخريجه.

٦) حُسن الظن والإغضاء عن الهفـــوات وتقبـــل النصـــيحة والتواصي.

٧) صيانة عرض المسلم غاية الصيانة من الظن المجرد، فلا بـــد من التثبت والتريث في قبول الأخبار وسد باب النقل حتى لا يتسمع أحد في أحد، فإن المستمع شريك القائل، قال الشافعي: " قبـــول السعاية أضر من السعاية، لأن الأولى دلالة والثانية إجازة وليس من دلّ على الشيء قبل وأجاز".

٨) حفظ العهد والدعاء له ولأهله حاضرًا أو غائبًـــا حيًّـــا أو ميتًا.

٩) إظهار الاهتمام به والمشي في حاجته ومسرته.

١٠) إذا أحبه فليخبره «**إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنـــه يحبه**» ت حسن (٢٣٩٣) وصححه ابن حبان (٢٥١٤).

١١) السؤال عن اسمه واسم أبيه.

١٢) التغافر والتسامح والعفو عن الزلاّت والبُعد عـــن كثـــرة العتاب.

قال أبو الدرداء: "إذا تغير حال أخوك عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى".

وقال الشافعي: "ومن صدق في أخوة أخيه قبل علله وسد خلله وعفا عن زلَله.

١٣) اجتماع الأخوة على خير وهدى:

يقول ابن القيم: "والاجتماع على قسمين:

- اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت فهـــذا مضـــرته أرجح من منفعته.

- اجتماع على التعاون والتواصي وتدارس العلـــم والموعظـــة والتذكير بالآخرة فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها.

وهذا آخر الجزء الأول من: «مفهوم الحب عن أهـــل الســـنة والجماعة»

أسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويرشدنا لحبه وحب نبيـــه وحـــب عباده الصالحين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد...

تمت

المصادر والمراجع

١- شرح الطحاوية: للشيخ عبد الرحيم الطحان..
٢- روضة المحبين: للعلامة ابن القيم..
٣- الجواب الكافي: للعلامة ابن القيم..
٤- الفتاوى لشيخ الإسلام: ابن تيمية...
٥- الفكر التربوي عند ابن القيم: للدكتور حسن الحجاجي.
٦- سلسلة البحوث الاجتماعية (٣-٥): عمر كحالة...
٧- الحب بين العبد وربه: أحمد المحامد...
٨- ثلاثة رسائل في المحبة: عبد الله الجار الله:
٩- الأخوة والحب في الله: حسني جرار...
١٠ — نفائس الحلة في التآخي والخلة: للرومي والهزّاع..

فهرس